النظرية الاجتماعية في الدرس اللغوي الحديث

Social Theory in Modern Linguistic Lesson

[1] د/ عزيز كعواش

1 جامعة بسكرة، الجزائر
Mail:aziz.kaouache@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2019/08/02 تاريخ القبول: 2019/08/21

الملخص:

تؤدي اللغة الدور الأساسي في الاتصال بين البشر، وهي الوسيلة الرئيسية في خلق الحضارات وبناء المجتمعات الإنسانية. فاللغة تتميز بأنها ظاهرة اجتماعية، ولا يوجد نظام لغوي منفصل عن الجماعة التي تستخدمه ومن هنا كانت الدراسات الاجتماعية للغة، لأنها توضح العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية. وقد أقر كثير من الدارسين في مجالي علم الاجتماع واللسانيات حسب نتائج هذه الدراسة بتأثير النظرية الاجتماعية في الدراسات اللغوية قديما وحديثا، وهذا ما جعل بعض علماء الأنثروبولوجيا يذهب إلى حد القول بأن أية مناقشة للرموز في غير محيط علم الاجتماع دراسة فاشلة.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة الاجتماعية؛ الحياة الاجتماعية؛ النظرية الاجتماعية؛ اللسانيات؛ اللسانيات الاجتماعية.

Abstract:

Language plays the primary role in communication between humans, and is the principal means of creating civilizations and building human societies. Language is characterized as a social phenomenon, and there is no language system separate from the group that uses it and hence the social studies of language, because it illustrates the relationship between language and social life. According to the results of this study, many sociologists and linguists have acknowledged the influence of social theory in ancient and modern linguistic studies. This has led some anthropologists to say that any discussion of symbols in non-sociology is a failed study.
Keywords: social phenomenon, social life, social theory, linguistics, social linguistics

مقدمة :

يرجع أول اتصال للدرس اللغوي بعلوم الاجتماع إلى ذلك السؤال الذي طرحه فلاسفة ومفكرو القرن الثامن عشر عن علاقة اللغة بالمجتمع الذي يتواصل بها، ومن أشهر أولئك **هلدر**(halder) و**جينس** (Guinness) و**يوهان فوتغيره** (Johann). فقد رأى **هلدر** أن اللغة ذات شكل داخلي خاص، وهي منظمة للعالم الخارجي للجماعة الناطقة بها، كما ذهب **هلدر** مذهب الاجتماعيين في أن مفهوم الجماعة اللغوية يتضمن معنى الأمة. (نهر، 1988، ص ص27 - 28) أما **جينس** فقد نشر عام 1794 كتابه الذي يحمل عنوان " المقارنة بين اللغات مع تقويم فلسفي ونقدي للأربع عشرة لغة قديمة وحديثة"، وأثبت فيه أن الطبيعة الفكرية والأخلاقية للإنسان تتجلى في لغته على نحو ما.

كما انشغل مفكرو القرن الثامن عشر أيضا بموضوع نشأة اللغات، وظهرت نظريات نفسية وتاريخية تحاول تفسير هذه الظاهرة الإنسانية. وتعود معظم تلك النظريات إلى آراء الفلاسفة في المقام الأول وعلى رأسهم الفيلسوف **كوندياك** (Étienne

Bonnot de Condillac)"، حيث قرر هذا الفيلسوف حقيقة تصب في صلب الدراسات اللغوية الاجتماعية الحديثة، وذلك حينما يقول « لا يستطيع البشر تبادل الإشارات ما لم يكونوا مجتمعين». (مونبن، 1972، ص 152) كما ذهب إلى أن اللغة هي أوضح مثل للعلاقات التي نكونها بصورة إرادية.

إن هذه الآراء اللغوية المختلفة لفلاسفة ومفكري القرن الثامن عشر والتي حملت البذور الأولى للتفكير اللغوي السوسيولوجي امتد تأثيرها إلى القرن التاسع عشر وأثرت في كثير من الفلاسفة وخاصة الشهير الألماني **غليوم همبولت** (Gullaume de Humbolat)، والذي دفع بالايديولوجية الرومانسية التي انتشرت في ميادين الثقافة والفلسفة والسياسة إلى حدودها القصوى. (نهر، 1988، ص 28).

ففي ألمانيا عمد العديد من فلاسفة القرن الثامن عشر إلى البحث في الماضي الجرماني بهدف الإعلاء من شأن القيم القومية والإشادة بها، وكان على رأس تلك القيم اللغة. لذلك فاللغة عند همبولت تعد الوسيلة التي يتكون بها التفكير، أي أنها تعبر عن الروح القومية، كما تشير إلى تلك النظرة الكونية الشاملة التي تنفرد بها جماعة من الجماعات. وليس تنوع اللغات إلا دليل على تنوع العقليات، ومنه نشأت أهمية التحليل الدقيق المفصل لعضوية أية لغة لكي تتم المقارنة بين مزايا بنياتها ومزايا بنيات اللغات الأخرى. (الحناش، 1980، ص 75) و لذلك فإن تفوق البنية اللغوية برهان أكيد على تفوق الذهنية والعرق.

وبالإضافة إلى ذلك نجد لدى همبولت ملاحظات حول اللغة يبرز خلالها ما يسمى بـ (قطبيات اللغة)، بمعنى أن اللغة« إنتاج فردي واجتماعي في آن واحد، وهي شكل ومضمون، وهي آلة وموضوع، وهي نظام ثابت وصيرورة متطورة، وهي ظاهرة موضوعية وحقيقة ذاتية» (مونبن، 1972، ص 199) فاللغة عند همبولت هي إنتاج الفرد والجماعة، وهي ألفاظ ومعاني أي شكل وجوهر، وهي نظام ثابت وصيرورة متغيرة دوما.

لقد كانت آراء همبولت اللغوية هذه مدار جدل ونقاش المشتغلين بالدرس اللغوي في القرن التاسع عشر فتناولوها بالتحليل والتفسير، وأخذ بعضهم يناصر ما

ذهب إليه **همبولت** من كون اللغة إنتاج فردي واجتماعي، وأنها ظاهرة موضوعية، وحقيقة ذاتية، وغيرها من المسائل اللغوية الأخرى التي أثارتها أراء همبولت حول طبيعة النشاط اللغوي آنذاك. ومنهم من ذهب إلى معارضة هذه الآراء على نحو ما ذهب إليه **شلايشر** (Schleicher) الذي ناصر النظرية التي تذهب إلى أن اللغة جهاز عضوي، أي أنها ليست ظاهرة اجتماعية، بل هي حادث من حوادث الطبيعة أو جهاز غير عضوي، وبالتالي لا يكون في رأيه علم اللغة علما إنسانيا إنما هو علم طبيعي.

إن هذا الجدل الذي أثير في القرن التاسع عشر حول اعتبار علم اللغة علما طبيعيا أو علما اجتماعيا هو جدل طرح منذ القديم في عصر الفلسفة اليونانية، إلا أنه لم يحتد إلا مع القرن التاسع عشر، حيث ظهر كمشكلة علمية حقيقية بعد نشأة العلوم الطبيعية وازدياد أهمية العلوم الاجتماعية.

فالإغريق قديما كانوا في جانب من مناقشاتهم الفلسفية يعتمدون آراء يمكن تفسيرها الآن على أنها تعارض وجهة النظر القائلة بأن علم اللغويات أحد فروع العلوم الاجتماعية كما هو الحال عند **أفلاطون**. ومن جانب آخر نجد تحيزا واضحا نحو القول بأن اللغة تقليد اجتماعي، وأن لكل مسمى- إن كان شيئا أو عملا- اسما لمجرد أن الناس قد اتفقوا على أن هذا الاسم رمز للشيء المسمى.

تبنى **أرسطو** هذا المفهوم عندما عالج اللغة على أنها رابطة اجتماعية. (نهر، 1988، ص 31) لقد انقسم فلاسفة اليونان حول طبيعة دراستهم اللغوية إلى فريقين؛ تزعم الفريق الأول أفلاطون الذي نفى بشدة صلة علم اللغة بالدراسات الاجتماعية وأرجعها إلى أصلها الطبيعي. أما الفريق الثاني فتزعمه أرسطو، حيث اعتبر اللغة تقليدا رابطة اجتماعية، وذهب إلى القول بأن العلاقة بين الدال والمدلول إنما هي علاقة اصطلاحية على خلاف ما ذهب إليه أفلاطون بأنها علاقة طبيعية. .

كانت لتلك الخلافات التي جرت بين اللغويين أبان القرن التاسع عشر حول طبيعة علم اللغة، هل يعد علما طبيعيا تابعا لصنف العلوم الطبيعة أم علما اجتماعيا تابعا لصنف العلوم الاجتماعية، فوائد جمة منها التأكيد على الحاجة إلى تلك الدراسة

الدقيقة للظواهر اللغوية، وتركيز الاهتمام للبحث في اللهجات المحلية والاختلافات الكثيرة بينها.

إن الدرس اللغوي الحديث مدين للدراسات اللغوية التي شاعت في القرن التاسع عشر ومدين للرومانسية الألمانية على وجه الخصوص، وداعيتها الأشهر همبولت لما قدمه من آراء لغوية رائجة في زمانه استفاد منها الدرس اللغوي الحديث والمعاصر، حيث خلص همبولت إلى أن علم اللغة متأثر بالدراسات الاجتماعية والنفسية الناشئة هو الذي حل محل علم اللغة الذي تأثر بعلوم الحياة والتاريخ. بالإضافة إلى كل هذا فقد برز في القرن التاسع عشر تأمل متجدد في " الكلام " باعتباره مؤسسة اجتماعية. (نهر، 1988، ص33).

I. معالم النظرية الاجتماعية في اللسانيات الحديث

تعد اللغة نشاطا اجتماعيا من حيث أنها استجابة ضرورية لحاجة الأفراد للاتصال مع بعضهم البعض، (رمضان، 1982، ص 125) ولذلك فإن «علم الاجتماع قد يتقاطع منهجيا مع اللسانيات عندما يتناول اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية، وهذا ما أمسى مألوفا وشائعا في الثقافة الإنسانية المعاصرة بعلم الاجتماع اللساني». (حساني، 2000، ص 35) ويعمل هذا العلم على الكشف عن تلك العلاقة القائمة بين اللغة والحياة الاجتماعية كما يبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية.

فاللغة تؤدي الدور الأساسي في الاتصال بين البشر، وهي الوسيلة الرئيسية في خلق الحضارات وبناء المجتمعات الإنسانية، (ياقوت، 2003، ص106) فاللغة تتميز بأنها « ظاهرة اجتماعية، ولا يوجد نظام لغوي منفصل عن الجماعة التي تستخدمه، ومن هنا كانت الدراسات الاجتماعية للغة لأنها توضح العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية». (كريم، 2001، ص 70) ولأن اللغة مرآة المجتمع تعكس كل ظاهرة من رقي أو تخلف، فهي شديدة الصلة بكل نواحي المجتمع. (داود، بلا تاريخ، ص 91) ولقد ظهرت البذور الأولى لهذا المفهوم مع عالم اللسانيات الشهير **فرديناند دي سوسير** عندما أكد أن اللسان هو مظهر اجتماعي لجماعة بشرية تتميز بخصوصيات ثقافية وحضارية

معينة، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة ظاهرة اجتماعية كغيرها من ظواهر المجتمع. (لوشن، 2001، ص 163).

II.1- بين اميل دوركايم رائد المدرسة الاجتماعية الفرنسية ودي سوسير

أقرت مدرسة علم الاجتماع الفرنسية واعترفت باجتماعية الظاهرة اللغوية، فقد كانت تنظر إلى اللغة على أنها « نظام أو نسق اجتماعي وثقافي لا يرتبط وجوده بوجود الفرد، بل إن الفرد هو الذي يدخل إلى هذا النسق من الولادة فيتربى فيه». (السيد، 2003، ص 34) فاللغة وفقا هذه المدرسة نظام اجتماعي، وأن الشخص يدخل في هذا النظام العام الذي يدعى اللغة لحظة ولادته ويحاول اكتسابه عبر مراحل حياته المختلفة، وبذلك تعد اللغة « أهم عنصر في عملية التنشئة الاجتماعية، كما أنها توصف في العادة بأنها لا شخصية لأنها تعلو وترتفع وتسمو علينا وتتجاوزنا كأفراد». (مها، 2005، ص24).

تنبه اللغويون إلى مثل بحوث ودراسات المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها **اميل دوركايم** (durkheim) في أوائل القرن العشرين، وانضم إليها العديد من اللغويين من مختلف أنحاء العالم من فرنسا وانجلترا وألمانيا وسويسرا وغير ذلك من البلدان، وبذلك أصبحت الدراسات التي أجرتها المدرسة الاجتماعية الفرنسية أساس الدراسات اللغوية في الكثير من الأحيان، إذ طفق عدد من الدارسين على توضيح أثر المجتمع ونظمه وحضارته المختلفة على تلك الظواهر اللغوية.

ويرى الباحثون في مجال الدرس الألسني الغربي أن الخاصية الأساسية للغة تكمن في كونها نشاط اجتماعي يستوجبه التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، ولعل أحسن مدخل لتعريف اللغة كظاهرة اجتماعية في الدراسات الغربية هو الوقوف على أعمال أحد أقطاب ومؤسسي الدرس الألسني الحديث وهو السويسري **فردينان دي سوسير**. والذي كشف بفكره الثاقب خاصية اللغة الاجتماعية، فهو مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية الحديثة بلا منازع، وقد جمع فكره اللغوي في مفهوم

اللسان وهو عنده « مظهر اجتماعي لجماعة بشرية تتميز بخصوصيات ثقافية وحضارية معينة». (لوشن، 2001، ص 162).

ويؤسس دي سوسير نظريته الاجتماعية في اللغة على أساس نظرية زميله اميل دوركايم في علم الاجتماع، حيث كان **دي سوسير** وأكثر تلاميذته متأثرين بمذهب **دوركايم** والذي كان نفسه متأثرا **بكارل ماركس**. (السعران، 1997، ص 342) وكان دوركايم وضعيا وضد النزعة الفردية، ومن أشهر مؤلفاته " العمل الاجتماعي De la division de travail social. "

كما يعتبر دوركايم " نشاط الجماعة " أو " النشاط الجماعي" كما يسميه مستقلا عن أي فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع، فلكل فرد عند **دوركايم** وجود خاص به. كما يقرر **دوركايم** أيضا أن " الظواهر الاجتماعية" ذات وجود خاص بها، واللغة من جملة الظواهر الاجتماعية، وأن خصائص السلوك أو" لسماته" وجودا مستقلا، وأن الأنواع العامة للسلوك الاجتماعي لا تعدو أن تكون " تعميمات". (السعران، 1997، ص 302) لقد درجت الفلسفة الدوركايمية « على أن تنظر إلى ال Langue " اللغة" باعتبارها متميزة أو " مستقلة" من ال Parol ثم من ذلك الاصطلاح الثالث وهو Langage ».

إن نظرية دي سوسير وتلاميذته اللغوية تقوم على مفاهيم ثلاثية « **اللسان واللغة والكلام** » ويرى دي سوسير أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة مصطلحات أساسية " اللسان"(Le langage) و"اللغة" (La langue) و"الكلام" (La parole). ويدل اللسان عنده على النظام العام للغة ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر،(saussure, 1974, p. 232) فهو الهيكل العام الذي تشترك فيه كل لغات الشعوب. كما أنه يتكون من ظاهرتين مختلفتين " اللغة " و " الكلام "، فلا ينبغي الخلط عند دي سوسير بين اللغة واللسان فما اللغة إلا جزء محدد منه وعنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان.(saussure, 1974, p. 232)

إن سوسير هنا يميز بين اللغة واللسان، واللغة نتاج اجتماعي فهي « مجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة». (مومن، 2005، ص 232) فاللغة في نظر دي سوسير « واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس»، (saussure، 1974، ص 232) وبذلك تعد اللغة ظاهرة اجتماعية يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الواحد، فهي موجودة في ذهن هؤلاء الأفراد و مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين. وهذا كله يعكس إيمان دي سوسير بسوسيولوجية الظاهرة اللغوية، وأنها ظاهرة موحدة لجميع أفراد المجتمع الواحد.

ودي سوسير يشبه اللغة بـ « القاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية، لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه، وذلك بقوله أن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ أي عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد... وهي لا تتأثر بإرادة المودعين، ويمكن صياغة نمط وجودها بهذا الشكل 1+1+1+1..=1 (نموذج جمعي)». (saussure، 1974، ص 517) أما الفرد في الجماعة اللغوية فهو مقيد بقوانين هذه اللغة ولا يستطيع الخروج عنها. وأما الكلام عند دي سوسير فهو فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، وهو مطابق لمفهوم الأداء، فالكلام بهذا المعنى هو تحقيق للغة وأداء لها.

لقد أثبت دي سوسير بفكره المميز أثناء تقعيده للدرس الألسني الحديث، أن خاصية اللغة اجتماعية، وأصل لهذه الفكرة في العديد من التعريفات التي أعطاها للغة. وبهذا يعد دي سوسير مؤسس المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية الحديثة متأثرا في ذلك بدراسات صديقه في علم الاجتماع أميل دوركايم.

II.2- أثر مالينوفسكي في اللسانيات الانجليزية

لم يكن **دي سوسير** وحده من تأثر في دراسة اللغة بتلك البحوث السوسيولوجية، فقد تأثر فيرث أيضا في نظريته اللسانية بالعالم الأنثربولوجي البولندي **برانزلو مالينوفسكي** (Bransalw Malinwski) ، وعمد فيرث من جهته إلى تطوير المفاهيم التي وضعها مالينوفسكي. (المسدي، 1984، ص 176)

لم يحد "مالينوفسكي" عما جاء به اللغويون الذين أكدوا سوسيولوجية الظاهرة اللغوية في قوله أن اللغة « ذات وظيفة اجتماعية، وليست إحدى وسائل توصيل الأفكار أو التعبير عنها، فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من الوظائف المتعددة للغة». (مطر، 2000، ص 14 -15)

كان لمالينوفسكي فضل كبير في الدعوة إلى نظرية جامعة تجمع بين اللغة والمجتمع، وكان ذلك عام 1930. أدرك هذا العالم الأنثربولوجي عندما كان يدرس بعض المجتمعات البدائية "Premitive" أن دراسة هذه المجتمعات لن تصح دون معرفة وظيفة اللغة داخل المجتمع، كما أدرك بعد قيامه بهذه الدراسات المختلفة حول المجتمعات البدائية أن اللغة لم تكن وسيلة للتواصل والتفاهم فقط، فهي عنده حلقة في سلسة النشاط الإنساني، مثل ما أنها جزء من ذلك السلوك الإنساني. (نهر، 1988، ص 44).

بل ذهب مالينوفسكي إلى الاعتقاد بأن المعطيات الاجتماعية هي بمثابة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد القصد من تلك الكلمات أو الجمل التي قد توحي بأكثر من معنى، فالمعطيات الاجتماعية بهذه المثابة هي أشبه بأداة يستعملها الباحث اللغوي ليتمكن من تحليل أشكال لغوية محددة.

ويتأثر فيرث بكل هذه الدراسات التي أجراها مالينوفسكي، ويذهب إلى أبعد من ذلك حينما اعتبر أن ثمة إطار اجتماعي تستعمل اللغة ضمنه وتتأثر بمعطياته وتتكيف مع عناصره، وقد حدده بالشكل التالي: (المسدي، 1984، ص 177) .

1- **العنصر البشري:** ويتمثل في الموقف اللغوي، فهناك متكلم ومستمع، ويتأثر أسلوب المتكلم بعوامل منها خلفيته الاجتماعية والثقافية ونوعية علاقته بالمستمع.

2- **عنصر الموضوع:** حين يستعمل الإنسان اللغة يتناول موضوعا معينا عليه مراعاته، حيث لا يستعمل كلمات علمية مثلا وهو يتحدث في موضوع شخصي.

3- **عنصر الهدف:** قد نهدف من استعمال اللغة إما لإقناع الغير أو إغضابه أو مجاملته إلى غير ذلك من الأهداف المتنوعة التي تتكاثر بتكاثر العلاقات الاجتماعية.

ومن خلال تحديد **فيرث** لتلك المعطيات الاجتماعية المؤثرة في اللغة فقد كان له عند الدارسين فضل الربط ما بين الأشكال اللغوية والعناصر الاجتماعية الفعلية.

II.3- المدرسة اللغوية الماركسية واجتماعية اللغة

لم يتأخر الموقف الماركسي كذلك عن تأييد هذا الموقف الداعي لفكرة سوسيولوجية اللغة، ويتحدد هذا الموقف في مقالة نشرت عام 1950 بعنوان " الماركسية وقضايا اللسانيات" وحملت اسم **ستالين** بوصفه رئيس الحزب الذي يتبنى الأفكار الماركسية. وترى الماركسية من خلال تلك المقالة أن اللغة تدخل في عداد الظواهر الاجتماعية التي تعمل طيلة زمن وجود المجتمع، ولا توجد اللغة خارج المجتمع. (المسدي، 1984، ص 186) فاللغة تعد في عداد الظواهر الاجتماعية، وأن ولادتها مرتبطة بولادة المجتمع الذي توجد فيه، وتطورها رهن تطوره، وموت هذا المجتمع يعني انتهائها ولا وجود لها خارج هذا المجتمع.

كما يذهب ستالين وهو أحد أقطاب المدرسة الماركسية إلى اعتبار اللغة نتاج المجرى العام لتاريخ المجتمع، وهي نتاج المجتمع بكل طبقاته وعبر مختلف أجياله، لذلك وضعت لغة وحيدة للمجتمع عامة لكل أفراده، لغة مشتركة لكل أفراد الشعب، ودورها الوظيفي يتمثل في كونها أداة للتواصل بين أفراد الأمة الواحدة أو الشعب الواحد، أداة تخدم طبقة معينة دون غيرها. (نهر، 1988، ص 40 - 41) واللغة حسب الموقف الماركسي تتميز بأنها:

أ - نتائج لمجمل سير تاريخ المجتمع وتاريخ البنى التحتية خلال العصور ومن هذا المنطلق تعد اللغة مرآة تعكس بصدق تاريخ الشعوب وحياة الأفراد.

ب - تعد اللغة نتائج مجموعة كاملة من العصور التي تشكلت خلالها، فهي بهذا حاملة لحضارة الشعوب وفكر الأفراد على مر العصور.

ج - اللغة لم تخلقها طبقة اجتماعية ما، بل خلقها المجتمع كله بجميع طبقاته وبجهود مئات الأجيال. (المسدي، 1984، ص 168 -169).

كما كان للمدرسة اللغوية التي ظهرت في القرن العشرين، والتي أسسها **رومان جاكبسون** سنة 1915، دور في التأسيس للدرس اللغوي الاجتماعي ولفت أنظار الدارسين إليه. وقد كانت هذه المدرسة تتبع تعاليم **نيكولاي مار** (Nikolai Marr) الذي قدم تحليلا للغة ذهب فيه إلى أن اللغة عبارة عن بنية اجتماعية مجردة، كما أرجع أي تطور تشهده اللغة إلى ذلك التغير الذي يصيب التكوين الاجتماعي والاقتصادي، حيث أن أي تغير يقع في البناء السياسي والاجتماعي و الاقتصادي يقتضي زوال البناء اللغوي القديم، أو يتغير تغيرا جذريا، فتعد اللغة على هذا الأساس ظاهرة اجتماعية طبقية.

II.4- توسع مفهوم " اجتماعية اللغة " في الدرس اللساني الحديث

امتد تأثير دي سوسير إلى الألسنيين بعده الذين سعوا لإيجاد قبول لفكرة " اجتماعية اللغة "، وكان من بين هؤلاء **ويتني** (Whitney) الخصم الألد لـ **ماكس مولر** (Friedrich Max Müller). وقبل أن يتلاشى الأثر الذي أثارته محاضرات ماكس مولر التي تتبنى قول لا تفكير بلا كلمات، دخل ويتني في معركة يجابه فيها الفكرة المركزية عند مولر، وأوضح أن ذلك كان نصف الحقيقة التي أدت إلى فكرة عن اللغة نفسها ضيقة ضيقا خطرا. (لويس، 1959، صفحة 273) وكان ويتني من الألسنين الذين عملوا على تكريس فكرة سوسيولوجية الظاهرة اللغوية بمعارضته الشديدة لفكر ماكس مولر الذي عمل على حصر وظيفة اللغة في التعبير عن الفكر. لقد أصر وايتني «على أن لا يضللنا أن ننظر للغة كأداة للتعبير عن عقل الفرد في عزلته، بل إن الوظيفة الأساسية للغة هي الإعانة على الاختلاط في المجتمع». (لويس، 1959، ص 273)

أما اللغوي **فندريس** (Joseph Vendryes) فلم يحد في تعريفه للغة عن الرأي القائل بسوسيولوجية اللغة، وذلك عندما يذهب إلى القول: «في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم». (كريم، 2001، ص 95) فهو يعني بذلك أن لا وجود للغة دون المجتمع، ففي أحضان هذا المجتمع تكونت وأوجدها أفراد المجتمع الواحد حين أحسوا بالحاجة إلى أداة يستعملونها للتواصل مع بعضهم البعض.

كما يذهب فندريس إلى القول في كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه تلعب اللغة دورا ذا أهمية أساسية، إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع، وهي في الوقت نفسه رمزا لحياتهم المشتركة وضمانا لها، فهي تقف موقف الرابطة التي توحد بينهم فتكون العلامة التي بها يعرفون النسب الذي إليه ينتسبون. (لوشن، 2001، ص 187) إن اللغة عند فندريس هي تلك الأداة الموحدة لأفراد المجتمع البشري الواحد، فهي رمز لحياتهم المشتركة وهي التي تميز المجتمعات وتطبع أفرادها بطابعها.

ولعل العلاقة بين اللغة والمجتمع الذي عمل أقطاب الدرس اللغوي الحديث على توضيحها تتضح أكثر من خلال مقولتي **سابير** (Edward Sapir) فهي عنده « وسيلة إنسانية... لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز تصدر من الفرد بوعي منه، ويستعملها أفراد المجتمع من أجل توصيل رغباتهم وانفعالاتهم إلى بعضهم البعض، وهي وسيلتهم للتواصل داخل الحيز الجغرافي الواحد الذي يعيشون فيه». (صبري، 2000، ص 3) أما المقولة الثانية لسابير فذهب فيها إلى القول بأن « بني الإنسان لا يعيشون في العالم المحسوس الخارجي وحده، ولا في عالم النشاط الاجتماعي كما يفهم عادة وحده، بل يكونون إلى درجة كبيرة تحت رحمة اللغة الخاصة بهم والتي أصبحت وسيلة الاتصال في مجتمعهم». (بيتر، 1993، ص 18 - 30) لقد آمن سابير إيمانا شديدا بالنشاط الاجتماعي للغة من حيث هي استجابة ضرورية للتواصل بين أفراد المجتمع.

أيضا العالم الأمريكي **تشارلز** (Charles Robert) بحقيقة سوسيولوجية الظاهرة اللغوية وذلك حينما يذهب إلى « أن اللغة البشرية المستخدمة في مجتمع معين

يتوارثها الخلف عن السلف، وأنه حتى لو كان الاستعداد لاكتساب اللغة أمرا بيولوجيا نظريا إلا أنه لابد للطفل من مجتمع يعيش فيه ليكتسب اللغة فعلا، فإذا عاش منفردا فلا لغة على الإطلاق». (مها، 2005، ص 25)

ثم يسترسل تشارلز في قوله إن « الفرد الوحيد أو الذي ولد وحيدا في مكان مهجور أو في غابة لن تكون له لغة. ويشير تقرير – يقول تشارلز - نشر عام 1970 أنه وجدت طفلة تسمى "جيني"، كانت تعيش في حجرة صغيرة عزلت فيها وكانت تبلغ من العمر ثمانية عشر شهرا، وظلت كذلك حتى بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وكانت الاتصالات الاجتماعية في حدودها الدنيا، وعندما وجدت كانت لا تعرف أي لغة على الإطلاق وبدأت بتعلم اللغة بالاحتكاك الاجتماعي بعد ذلك». (مذكور، 2009، صفحة 34) إن ما يتبين لنا من كل هذا أن اللغة تتكون وتنمو نتيجة للتفاعل بين أفراد الجماعة اللغوية، وأن الفرد لابد له من مجتمع يعيش فيه ليستطيع اكتساب هذه اللغة، وإن كان الإنسان يولد وهو مزود بما يسمح له باكتساب اللغة فلا بد له من بيئة لكي يكتمل أمر اكتساب اللغة فيها.

وانطلاقا من مقولة اجتماعية الظاهرة اللغوية فإن أي مجتمع من المجتمعات تعد لغته مرآة عاكسة لثقافة ذلك المجتمع الذي تمثله. ولقد ضرب لنا **سارتر** (Jean-Paul Sartre) مثلا لذلك في محاضرة له عن دور المثقف في المجتمع عن طالبين صديقين كانا يدرسان الطب في باريس، أحدهما فرنسي والآخر زنجي، وكانت ميول الفرنسي بعيدة عن التمييز العنصري، ولكنه تكلم مع صديقه مرة حين أرسل نفسه على سجيتها، فشرع يقول العبارة الفرنسية الجارية على الألسن " لتشتغل الآن كما يشتغل الزنجي". ولكنه بدأها قائلا " لنشتغل الآن كما يشتغل..." وتوقف عن النطق بكلمة " الزنجي" فكان توقفه عن النطق مثيرا، إلا أنه فطن إلى ما تحمله الكلمة من زراية وامتهان لصديقه، فالزنوج وحدهم الذين عليهم أن يقوموا بأشق الأعمال التي يترفع عنها الأوروبيون. وفهم الصديق الزنجي أمورا كثيرة تواردت على خواطره من خلفية ما بدر من الفرنسي البرجوازي وتمييزه بين الأبيض والأسود. فقد استثارت الكلمة المحبوسة هذا الجو كله... وكانت القطيعة بين الصديقين بسبب هذه الكلمة التي لم ينطقها. (محمود،

1982، ص ص 206 - 206) وبهذا المثال الذي قدمه سارتر تتأكد اجتماعية الظاهرة اللغوية، فاللغة حاملة لثقافة المجتمع الذي يتخذها وسيلة للتعبير عن ثقافة أفراده.

ويؤكد **نيتشه** (Friedrich Nietzsche) حقيقة اجتماعية اللغة و« أن اللغة تلازم الفرد في حياته، وتمتد إلى أعماق كيانه وتبلغ أخفى رغباته وخاطراته، إنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الجسام وعالم الأذهان... إن اللفظ في اللغة تكمن فيه الثقافة التاريخية». (محمود، 1982، ص ص 205 - 206) بل من بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية، ومنها ما ينطق بموضوعات اجتماعية خاصة بكل شعب.

ولم تتأخر مدرسة **بافلوف** (Ivan Petrovich Pavlov) السلوكية عن مساندة فكرة اجتماعية الظاهرة اللغوية فذهبت إلى القول بأن اللغة عبارة عن « ردود فعل و استجابات لمؤثرات خارجية يصبح الشكل المقبول اجتماعيا منها عادة لدى الفرد عن طريق الثواب الذي يقدمه له المجتمع سواء اقتصر هذا المجتمع على الوالدين بادئ الأمر أو امتد إلى أبعد من ذلك فيما بعد» (محمود، 1982، ص 205 -206) وانطلاقا من هذا فإن اللغة عبارة عن استجابة لمثيرات خارجية والشكل المقبول منها هو الذي يتقبله المجتمع بقبول حسن، لكونه لم يحد عن ما هو مألوف ومعروف عندهم فيصبح هذا الشكل عادة لدى الفرد عن طريق الثواب الذي يتلقاه الفرد.

III. "علمية" دراسة اللسانيات الاجتماعية

بعد وضوح معالم الدرس اللغوي الاجتماعي عمل أصحاب الدرس اللغوي الحديث أمثال **دي سوسير، ومايه، وفندريس، وفيرث، وهاليداي، وماسنوفيكي، ويسبرسن وهاريس** وغيرهم من اللغويين إلى إنشاء فرع جديد من فروع علم اللغة حمل اسم"علم اللسانيات الاجتماعية" sociolinguisties والذي يعرف بأنه « دراسة اللغة خلال علاقتها بالمجتمع ». (ياقوت، 2002، ص 161) ويطمح أصحاب هذا العلم إلى اكتشاف الأسس والمعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي.

لقد أصبحت " اللسانيات الاجتماعية " أو " علم اللغة الاجتماعي " الآن علما له ثقله في معظم الجامعات والمعاهد التي تخصص جزءا كبيرا من بحوثها لدراسة علم

اللغة، وازدهر هذا العلم كثيرا في الفترة مابين 1960- 1970. غير أن دراسة علاقة اللغة بالمجتمع لم تظهر مقدماتها في هذه الفترة، بل كانت توجد مجالات قديمة تقليدية في دراسات اللهجات، وعلاقة اللغة بالثقافة وغيرها من القضايا التي تعتبر من صلب الدراسات اللغوية الاجتماعية، ولكن الشيء الجديد هو أن هذا العلم لقي اهتماما كبيرا في العصر الحديث.(AHUDSON, 1980, p. 1) وخاصة بعد أن توجه له الباحثون من لغويين واجتماعيين بالدراسة والتقعيد.

ونظرا للتداخل القائم بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي عند الكثيرين عمل المشتغلون باللغة على التمييز بين العلمين، حيث « ميز "هيدرسون" بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي على النحو الآتي، من الممكن تعريف علم الاجتماع اللغوي على أنه دراسة المجتمع في علاقته باللغة، وهو عكس تعريفنا لعلم اللغة الاجتماعي» (هيدسون، 1990، ص 12 - 17) ويتبين من هذا أن علم اللغة الاجتماعي يدرس علاقة اللغة بالمجتمع، أما علم الاجتماع اللغوي فيدرس علاقة المجتمع باللغة.

وبصورة أدق عرّف اللسانيون علم اللسانيات الاجتماعية «Sociolinguistics ».بعد انسجام عناصر هذا العلم الجديد على انه العلم الذي يدرس المجتمع في علاقته باللغة (بلعيد، 2005، ص 36)، حيث يتناول بالتتبع والبحث دراسة المشاكل اللهجية الجغرافية والاجتماعية، ويدرس أيضا طرائق التأثير بين اللغة والمجتمع، ويتفحص الظواهر الناجمة عن الازدواج اللغوي، ويهتم هذا العلم كذلك بدراسة اللغة كأداة اتصال بين الأفراد، حيث يسجل علاقاتها – أي اللغة- بالبيئة الثقافية، ودورها كوعاء لهذه الثقافة. (الجليل، 2002، ص 196) كما يدرس أيضا ملاحظا ومسجلا لغة الأشخاص أثناء ممارستهم للاحتفالات وأداء الشعائر الدينية وسواها من المناسبات المفرحة والمحزنة، وعلاقة كل ذلك بمعتقدات المجتمعات.

إن الاختلاف القائم بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي ليس اختلافا في العناصر وإنما في محور الاهتمام، ويستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أو المجتمع، وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية. إن ما يفهم من

هذا هو أن كل من علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي يتناول بالدراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع، والفرق بين العلمين يكمن في الأولوية التي يوليها الدارس إما للغة وهذا شأن الباحث في اللسانيات الاجتماعية، أم للمجتمع وهذا شأن الباحث في علم الاجتماع اللغوي.

كما يفرق بين اللسانيات الاجتماعية وعلم الاجتماع اللغوي من خلال القضايا التي يخصها كل واحد منهما بالدراسة، حيث نجد علم الاجتماع اللغوي يتناول قضايا التالية:

اللهجات dialectes: إن المجموعة البشرية التي تنتمي إلى رقعة سياسية وحضارية واحدة تستعمل لهجات مختلفة متفرعة عن اللغة الأصلية، مثل المجتمعات العربية حيث تفرعت اللغة العربية الجامعة للشعوب العربية إلى لهجات تختلف باختلاف المناطق الجغرافية. (الجليل، 2002، ص 196).

اللهجات الفردية: حيث نجد أن لكل فرد خصائصه اللغوية التي تميزه عن غيره، وتكون هذه الخصائص كالطابع الشخصي الذي يطبع كلام هذا الفرد أثناء إنتاجه، ومن هذه الخصائص نجد النبرة الصوتية وهي التي يتلفظ بها الفرد الواحد عادة، بالإضافة إلى الانتماء المهني. (لويس، 1959، ص ص 163 -166)

الكلام المحظور: ويتعلق الأمر بالعبارات التي يرفض شيوعها واستعمالها بين أفراد المجتمع، مثل تلك الكلمات التي تتصل بالعيوب والعاهات الجسمية، وغيرها من الكلمات التي يرفض المجتمع شيوعها، فيلجأ أفراد هذا المجتمع إلى استعمال ألفاظ أكثر غموضا وأوسع دلالة مثل إطلاق لفظة البصير على الأعمى.

علاقة اللغة بالجنس: إن هناك فروقا واضحة بين لغة الرجال ولغة النساء، حيث أن لكل واحد منهما قاموسه اللغوي الخاص.

كما يدرس علم الاجتماع اللغوي ظاهرة التفاوت الطبقي وأثرها في النظام اللغوي في أي مجتمع من المجتمعات، حيث أننا إذا نظرنا إلى المجتمع من خلال طبقاته نجد أن لغة طبقاته تختلف من طبقة لأخرى، فلغة الطبقة الفقيرة مثلا تختلف عن

لغة الطبقة الغنية، ولغة الأطباء تختلف عن لغة النجارين، ولغة سكان المدن تختلف عن لغة سكان الأرياف. (لوشن، 2001، ص 166)

أما القضايا التي يتناولها علم اللسانيات الاجتماعية بالدراسة فتتمثل فيما يلي: (نهر، 1988، ص 25).

- الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي وتعدد اللهجات.
- التخطيط والتنمية اللغوية.
- ظواهر التنوع اللغوي.
- علم اللهجات الاجتماعي (المتنوعات غير المعيارية).
- اللسانيات الاجتماعية والتربية.
- الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية (طريقة الأسلوب والكلام).
- السجلات والفهارس الكلامية والانتقال من لغة لأخرى.
- العوامل الاجتماعية في التغير الصوتي والنحوي.
- اللسان والمجتمع والتواصل الحضاري.
- النظرية الوظيفية والنظام اللغوي.
- تطور اللغة عند الطفل.
- اللسانيات العرفية (الاثنومنهجية).
- دراسة النصوص.

VI . البحث اللساني والوظيفة الاجتماعية للغة

لا شك في أن الصلة بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة وأدرك الإنسان طبيعة الحياة الاجتماعية. (نمر، 1998، ص 9) من أجل ذلك عمل أقطاب الدرس الألسني في الشرق والغرب على السواء على رصد تلك الصلة، وهذا ما جعل تعريفهم للغة يحمل تلك الصبغة الاجتماعية.

ولقد أدرك اللغويون العرب القدماء والمحدثون الخاصية الاجتماعية للغة، تجلى ذلك خاصة في تعريفهم لها، فهي عند **ابن جني** مثلا «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». (جني، بلا تاريخ، صفحة ج1 ص33) وعند تحليل تعريف ابن حني للغة من منظور سوسيولساني حديث نستشف جملة من الخصائص تتمثل فيما يلي:

1- اللغة أصوات. ولقد أدرك المشتغلون بالدرس اللغوي الحديث هذه الخاصية للغة فذهبوا إلى القول بأن اللغة " نظام من الرموز الصوتية ". (الراجحي، 1972، صفحة 61)

2- وظيفة اللغة هي التعبير. ولم يغفل الدرس الألسني الحديث عن هذه الخاصية أيضا، فأقر بأن اللغة هي التواصل داخل المجتمع.

3- الطابع الاجتماعي للغة. فلفظة " قوم" التي جاءت في تعريف ابن جني تؤكد اجتماعية اللغة. ويرجع استعمال مصطلح " قوم" في هذا التعريف بدل "المجتمع" إلى أن العرب قديما لم تستعمل مصطلح المجتمع للدلالة على المعنى الذي تحمله هذه اللفظة في هذا العصر، وإنما كانوا يستعملون لفظة قوم للدلالة على المجتمع. (الراجحي، 1972، ص 71).

4- علاقة اللغة بالفكر، ويبدو هذا واضحا في تعريف ابن جني، وذلك حينما قال « يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

من الواضح من خلال تعريف ابن جني للغة أنه أدرك الصلة القائمة بين اللغة والمجتمع، وتيقن من أهمية اللغة بالنسبة لأفراد المجتمع الذين يستعملونها كأداة للتعبير عن حاجياتهم، فهي وسيلتهم للتواصل داخل هذا المجتمع الذي يعيشون فيه.

إن تركيز ابن جني في تعريفه للغة على الوظيفة التعبيرية التواصلية لقي رفض كثير من المشتغلين بالدرس الألسني الحديث، بحجة أن هناك العديد من الوظائف الأخرىSpeech function للغة تتمثل في أنواع مختلفة من الكلام الديني والسياسي والشعري، وتندرج كل هذه الأبواب تحت الوظيفة الاجتماعية. وذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى القول «هل اعتبار اللغة وسيلة من وسائل التوصيل يجوز أن يعد تعبيرا صادقا للغة؟ إن دراسة الأنواع المختلفة " للوظائف الكلامية" في لغة من اللغات "الحية" لا تؤيد مثل هذه التعريفات ولا توحي بها». (الراجحي، 1972، ص 70).

والقول بالوظيفة الاجتماعية للغة Social function التي نادى بها أصحاب هذا الاتجاه الذي رفض حصر اللغة في مجرى الوظيفة التواصلية التعبيرية يجعل اللغة تتمثل في الأشكال التالية (كريم، 2001، ص ص 80 - 94):

1- الكلام الانفرادي " المونولوج " كالقراءة الانفرادية بصوت عالي وتحديث الإنسان لنفسه.

2- استعمال اللغة في السلوك الجماعي كالصلاة والدعاء والغناء والتمثيل.

3- استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي استهدف غاية محددة مثل لغة التأدب، والتهنئة والحديث عن أحوال الطقس.

4 - استخدام اللغة في بعض الأحيان لإخفاء أفكار المتكلم على نحو ما يظهر في لغة السياسة؛ فالسياسي يضلل الناس ليأخذ أصواتهم في الانتخابات. وفي لغة اللصوص الذين نجدهم يكذبون على الناس لأخذ أموالهم.

ومن أجل ذلك كله يمكن القول بأن وظيفة اللغة لا تقتصر على التواصل فحسب بل تستعمل في مواقف كلامية مختلفة يؤثر بها على الآخرين، إما حبا أو خداعا أو تحذيرا. وقد يستعمل الأفراد هذه اللغة في تمضية أوقاتهم كالحديث في القطارات

والطائرات وهذا ما أطلق عليه العالم الأنثربولوجي **مالينوفسكسي** " بالتواصل الودي" phatic Cominication وهي وظيفة تعمل على مد جسور التواصل بين أفراد المجتمع الواحد.

ويرى بعض الباحثين اللسانيين أن للغة وظائف تواصلية عديدة إلا أن وظيفتها الأكثر أهمية هي الوظيفة التعاملية التي يستعملها الأفراد بكثرة في حياتهم اليومية Transactional Function وتتمثل هذه الوظيفة التعاملية في نقل المعلومات. (كريم، 2001، ص ص 80 -94).

كما يرى أصحاب الدرس الألسني أن الوظيفة التفاعلية Interaction function لا تقل أهمية عن الوظيفة التعاملية في إقامة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتعمل على ترسيخها، فالمعاملات اليومية تعتمد على اللغة بوصفها وسيلة للتواصل أكثر منها أداة للتعامل بين المتكلمين دون غاية وهدف مرجو. إن حصر وظيفة اللغة في التواصل والتفاهم يحول دون تفسير العديد من أشكال السلوك الكلامي Speech behaviour، ولذلك كان من الضروري النظر إلى الوظيفة الاجتماعية للغة، فلا يمكن فهم جوهر اللغة دون معرفة دورها في حياة الفرد والمجتمع.

وهناك من ذهب إلى تعريف اللغة بأنها « جملة رموز متواترة بين أفراد المجموعة البشرية التي تتحول بفعل الرابط اللغوي إلى مجموعة فكرية حضارية» (المسدي، 1986، ص 25) إن ما يستشف من هذا التعريف هو أن اللغة عبارة عن رموز، فالألفاظ رموز للأشياء الموجودة في عالم المادة، وهذه الرموز التي يتناولها أفراد المجموعة اللغوية من جيل للآخر تتحول بفعل الروابط اللغوية إلى مجموعة فكرية حضارية. فاللغة حاملة للفكر ومعبرة عن الحضارة التي تتواجد فيها «وهذه الرموز سواء كانت ملهمة إلهاما أم منبثقة انبثاقا فإنها تمثل ضربا من التسليم الضمني بين مستعمليها، ثم إنها ترتبط فيما بينها بقوانين». (المسدي، 1986، ص25) وذلك لأن الفرد في المجتمع اللغوي الواحد ملزم بمراعاة قوانين اللغة المتعارف عليها، وهو مجبر على مراعاة المستوى الصوتي للغة الذي ارتضاه أفراد هذا المجتمع ومطابقته في كلامه، وإن حاد هذا الفرد عن هذه القواعد والقوانين اللغوية المتعارف عليها بين أفراد المجتمع

عيب عليه ذلك وأجبره النقد الاجتماعي الذي يتلقاه من أفراد المجتمع إلى العودة إلى سنن الصواب. (لويس، 1959، ص 84).

ولكون اللغة واحدة من جملة الظواهر الاجتماعية فقد ذهب علماء الاجتماع إلى أن هذه الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة وآمرة، تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف، وتحتم عليهم أن يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محددة مرسومة على حد تعبيرهم. ويدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية- عند علماء الاجتماع-. إن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى هذه الظواهر الاجتماعية، فإنه سرعان ما يشعر برد فعل مضاد من المجتمع الذي يعيش فيه، ذلك لأن المجتمع يشرف على سلوك أفراده، ويستطيع توقيع العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليه، وأهون صور هذا العقاب هو التهكم الشديد أو السخرية المرة. (رمضان، 1982، ص ص 126 - 127)

ومن أمثلة وجود هذا القهر أن المجتمع لا يسمح لنا مثلا أن نتحدث باللغة العربية لمن لا يفهمها، ولا أن نحدث العامة مثلا باللغة الفصحى، التي لا تسمو إليها مداركهم، فإن من يحاول الخروج على السلوك اللغوي لجماعته، يعد خارجا عن الظواهر الاجتماعية نفسها.

إن القول بأن الفرد مقيد بالصيغ والقواعد التي توجد في لغته والتي أقرها المجتمع يطرح إشكالية ممثلة في أن الفرد الواحد ينشئ أحيانا صيغا جديدة يكتب لها الذيوع والانتشار، وهذا لا ينفي ما ذهب إليه العديد من أصحاب الدرس اللغوي الحديث بأن لغة الجماعة تعلو على الفرد ولا يعلو عليها؟

إن مثل هذه الصيغ الجديدة والمبتدعة من قبل الفرد الواحد لا تكتسي الطابع الاجتماعي ولا يكتب لها الذيوع والانتشار داخل المجتمع إلا إذا كانت تنطبق مع الحس اللغوي العام للأفراد المجتمع ويتقبلها هذا المجتمع الذي تتواجد فيه بقبول حسن، كما أن هذه الصيغ الجديدة المبتكرة من قبل هذا الفرد لا تنشأ ولا تبدع من غير مثال فهو

دائما يعود إلى صيغ لغته ويحاول أن ينسج على منوالها صيغا جديدة، فهو دائما يعود إلى لغة مجتمعه، ولا يستطيع الخروج عنها. (لويس، 1959، ص 184).

لقد توالى إقرار أصحاب الدرس الألسني العربي الحديث بسوسيولوجية الظاهرة اللغوية، وذهبوا إلى القول بأن اللغة « ظاهرة اجتماعية بسيكولوجية قبل أن تكون أصواتا وصرفا ونحوا». (فريحة، 1981، ص 13) تعمل على مد جسور التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة « ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه... تؤدي اللغة دورا ذا أهمية أساسية، إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع، وهي في نفس الوقت رمز لحياتهم المشتركة وضمان لها، فما الأداة التي يمكن أن تكون أكثر كفاءة من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة». (تمام، 2001، ص 17).

إن ما تقدم من نصوص اللغويين والتي تمحورت حول تعريف اللغة تبرز أن ثمة صلة وطيدة بين اللغة والمجتمع، على أساس أن اللغة فعل اجتماعي يتحقق على ألسنة أفراد المجتمع الذين يمرون بمراحل عمرية مختلفة تنمو معهم بوصفهم أفرادا في طبقة اجتماعية معينة، أو سكانا ينتمون إلى مناطق جغرافية معينة. (كريم، 2001، ص 96) لقد عمل عديد من الباحثين على تأكيد فضل علم الاجتماع في التأسيس للدرس اللساني الاجتماعي، وفي هذا الصدد نجد " **ألان جاردنر**" يقول «إن العلم الذي له دين على النظرية اللغوية في النهاية ليس المنطق ولا علم النفس، وإنما هو علم الاجتماع». (لويس، 1959، ص 275) أما "مالينوفسكي" فيعتبر أن أية مناقشة للرموز في غير محيط علم الاجتماع هي دراسة فاشلة. (لويس، 1959، ص 275) ولا يمكن للدرس اللغوي الجاد قديمه وحديثه تجاوز حدود مجالات الاجتماع.

الخاتمة

من خلال هذا البحث الذي يعالج بالتحليل والمناقشة معالم النظرية الاجتماعية في الدرس اللغوي الحديث يمكننا استنباط النتائج التالية:

- إن النزعة الاجتماعية في التعامل مع الظاهرة اللغوية ترجع إلى الأرضية المنهجية التي وضعها "دوركايم"، والتي تأثر بها العالم اللغوي دي سوسير الذي

تعامل مع اللغة على أنها بالأساس ظاهرة اجتماعية. ولهذا فإن علم الاجتماع قد يتقاطع منهجيا مع علم اللسانيات عندما يتناول اللسان كظاهرة اجتماعية، وهذا ما أمسى شائعا بعلم الاجتماع اللساني.

- تعد نظريات دوركايم التي قدمت في مجال علم الاجتماع تحولا حقيقيا في دراسة الحقائق الاجتماعية (Social facts) لما لها من تأثير مباشر على الدراسات الحديثة، حيث تحول مفهومه من الحقائق الاجتماعية إلى الحقائق اللغوية "Lingual facts" على يد "دي سوسير"، وانتقل تميزه بين الفردي "Individual" والاجتماعي "Social" إلى تميز دي سوسير بين فردية الكلام "Individuality of speech" والطبيعة الاجتماعية للغة "Social nature of language"، واستقلالية علم الاجتماع إلى تحديد سوسير استقلالية علم اللغة وعمليته.
- ارتباط اللغة بالفرد الذي لا ينطق إلا بها وبالمجتمع الذي لا توجد إلا بوجوده يتطلب الوقوف عند هذه العناصر الثلاثة والنظر في العلاقة بينها، حيث نجدها كالمثلث الذي تكون اللغة رأسه، والفرد والمجتمع قاعدته.
- عرفت بين الفرد واللغة علاقة ثنائية الاتجاه، فالفرد يستعمل اللغة كوسيلة للتواصل مع أبناء المجتمع الذي يعيش فيه وهي أداته للتفاعل، واللغة أيضا بحاجة إلى الفرد الذي ينقلها من مستوى التجريد إلى مستوى التجسيد ويكتب لها بذلك الوجود. كما أن هناك علاقة ثنائية بين اللغة والجماعة، فلغة الجماعة هي التي تفرض نفسها مهما ضعفت صلتها باللغة، وبين الفرد والجماعة علاقة ثنائية الاتجاه كذلك وإن كان تأثير لغة الجماعة في الفرد أقوى من تأثيره هو في لغة الجماعة، لأن التفكير الجمعي هو الذي يملي وجوده على الفرد، وذلك لكون هذا الفرد ينتمي إلى النظام اللغوي العام للجماعة التي يتواجد فيها، ولا وجود لفرد يختار لغته بنفسه وإنما هي لغة مجتمعه الذي وجد فيه، يتقيد بنظمها ويراعي قوانينها. ولا وجود لفرد يختار أي مجتمع يولد فيه فالفرد في المجتمع مقيد بقوانينه فمهما حاول الفكاك من هذه القيود فلن يكتب له التحرر بالكلية.

❖ **قائمة المراجع:**

1. أبو الفتح عثمان ابن حني، **الخصائص** (د ت)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المدرسية.
2. أحمد حساني (2000)، **دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات**، ط: 4،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
3. أحمد مومن (2005)، **اللسانيات النشأة والتطور**. ط: 2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
4. أنيس فريحة (1981)، **الألسنية ٣**، ط: 2، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
5. بيتر فارب، بنو الإنسان (1993). تر: زهير الكرمى، الكويت عالم المعرفة.
6. تمام حسان (2001)، **اللغة بين المعايرية والوصفية**، ط: 5، القاهرة: عالم الكتب.
7. جورج مونين (1972)، **تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن العشرين**، تر: بدر الدين القاسم، دمشق.
8. حمادي نمر(1998)، **علم اللغة الاجتماعي عند العرب**، بغداد: ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه.
9. خالد عبد الرزاق السيد(2003)، **اللغة بين النظرية والتطبيق**، القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب.
10. رمضان عبد التواب (1982)، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي.
11. زكي نجيب محمود(1982)، **تجديد الفكر العربي**، ط: 6، القاهرة، بيروت: دار الشروق.
12. صالح بلعيد (2005)، **في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث**، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
13. عبد السلام المسدي(1984)، **اللسانيات من خلال النصوص**، تونس: الدار التونسية.

14. عبد السلام المسدي(1986)، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس: الدار التونسية للنشر المطبعة العربية تونس.
15. عبد العزيز مطر(2000)، **علم اللغة وفقه اللغة**، الدار العربية للنشر والتوزيع.
16. عبد القادر عبد الجليل(2002)، **علم اللسانيات الحديثة**، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
17. عبده الراجحي، **فقه اللغة في الكتب العربية** (1972)، بيروت: دار النهضة العربية.
18. علي أحمد مذكور، **تدريس فنون اللغة العربية(2009)**، القاهرة: دار الفكر العربي.
19. كريم زكي حسام الدين(2001)، **أصول تراثية في اللسانيات العربية**، ط: 3، القاهرة: الرشاد للطباعة والنشر.
20. م م لويس(1959)، **اللغة في المجتمع**، تر: تمام حسان ابراهيم أنيس، القاهرة :در إحياء الكتب العربية.
21. محمد الحناش(1980)، **البنوية في اللسانيات**، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
22. محمد سيد محمد (1984)، **الإعلام واللغة**، القاهرة: عالم الكتب.
23. محمد داود (بلا تاريخ)، **العربية وعلم اللغة الحديث**، القاهرة: دار غريب للنشر.
24. محمود السعران(1997)، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي.
25. محمود سليمان ياقوت(2002)، **منهج البحث اللغوي**، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
26. محمود سليمان ياقوت(2003)، **منهج البحث اللغوي**، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
27. مها محمد فوزي معاذ(2005)، **الأنتربولوجيا اللغوية**، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

28. نور الهدى لوشن(2001)، **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مصر: المكتبة الجامعية الآزطية.
29. هادي نهر(1988)، **علم اللغة الاجتماعي عند العرب**، العراق: الجامعة المستنصرية.
30. هدسون(1990)، **علم اللغة الاجتماعي**، تر: محمد عياد، القاهرة:عالم الكتاب.

31. De saussure (1974),**course in genral**, wade baskins translation، p: XLV
32. R. AHudson (1980) **sociolinguistics cambridge** Un p. London. .